وعد صديقي العزيز، لن أنساه أبدًا.

كان الشاب جالسًا على الأريكة في المتنزه العام، في وقت مبكر من الصباح. على مشارف فصل الربيع، حيث تنعم الزهور والأشجار بنضارتها. وقد بدأت الطيور بعزف سيمفونياتها التسبيحية الملهمة.

الشاب يمتلك وجهًا يعبر عن الوسامة ويدل على أنه لا يتجاوز الثلاثين من عمره. يرتدي نظارة مربعة الشكل ذات إطار أسود سميك، ولديه ذقن بين الخفيفة والكثيفة. يرتدي قميصًا وفوقه "شي رز" أخضر. ويحمل كتابًا عن القصص الواقعية في يديه.

فجأة، ظهرت فتاة تجري بالملابس الرياضية المثيرة وترمقه بنظرات مليئة بالإعجاب. وهو يبادلها الاهتمام، مبتسمًا بثقة. وعندما وصلت إليه، جلست بجانبه لتستريح.

قالت له: "إنه حقًا يوم جميل".

أجابها: "نعم، فهو يوم قليل من الأيام التي يشعر الإنسان فيها بالسكينة".

مدت يديها ليصافحها بإعجاب شديد، والنسيم يلعب بشعرها الأسود، وتزيدها جمالًا.

قالت له: "أنا أسمى... حلا".

صافحها ولم يعرفها لنفسه.

قالت له: "وأنت...؟".

أجاب: "أنا مجرد ورقة ملقاة، من يقرأها يستطيع أن يكون الحياة".

فاجأته الفتاة بتعابير الدهشة والإعجاب والغموض. ولكن ابتساماتها البراقة دفعت الشاب ليبادلها النظرات، ولكنه بخجل ينظر إلى الأرض ويبتسم.

ثم نظر إلى اليمين، ورأى سيدة عجوز تبحث في المهملات عن أي شيء يحتاجه. تغيرت ملامح الشاب، وفقاطع الفتاة بأنه يعطيها الكتاب الذي كان يحمله. ثم ذهب نحو السيدة العجوز وأعطاها مبلغًا كبيرًا من المال لمساعدتها. قال لها: "خذي هذا المبلغ وصنعي لكي شيئًا لتتغذي منه، حتى لا تهدري كرامتك وتعفو عن سؤال اللئيم".

اغتضنت السيدة العجوز قويًا وعيناها الزرقاوتان انسكبت بالبكاء، وهي تتحسس ملامحه وجسده، تتأكد من أنه بشري من الأرض وأن الخير لم يختفِ.

قاطع مخيلتها بقوله: "كفى بكاءً واذهبي، واتركي تلك الأشياء خلفك لتكون لكي ماضٍ، وابحثي عن الحاضر حتى يكون لكي ولأبنائك مستقبل".

رحلت السيدة العجوز، وعاد الشاب إلى الأريكة ليجد الفتاة لا تزال في انتظاره.

قال لها: "أما زلتِ هنا؟".

سألته: "من أنت؟!".

أشار لها إلى طفل يلعب بكرته بمفرده، ينظر إلى مجموعة من الأطفال يلعبون سويًا بسعادة.

ذهب الشاب إلى الصبي واستدرجه للعب معه، وفي لحظات قليلة تغيرت ملامح الصبي وأصبح يتلألأ وجهه وابتسامته الأولى ظهرت. لعب الشاب معه وركض خلفه ضاحكًا بسعادة. حمل الطفل وأخذ يدور به في الهواء، ثم شاهد السماء وكأنها سماء ثامنة، سماء الحرية.

فجأة، قذف الصبي الكرة واصطدمت بعكاز السيدة العجوز فسقطت أرضًا. تسارعوا لمساعدتها والاعتذار لها. دون أن يفهم الصبي ما حدث، قبل خدها وابتسمت له وبدأ الشاب يقدم لها الطعام ويرفعه ويضعه في فمها. هنا أصبحت السماء أكثر روعة عندما شاركت السيدة العجوز الضحكات والألعاب.

بقى الشاب مستمتعًا بالمشاهدة، ولكنه افتقد الفتاة بعدما رحلت. كان لا يزال يفكر فيها بشكل مشتد، وحينما وضعت هي السماعات في آيبادها وشغلته، شعر بأن الأغاني تجيبه عن ما يحتويها من أسئلة عميقة.

عاد الشاب إلى أريكته وبدأ في قراءة الكتاب، ومسك القلم بتركيز تام. كأنه كان ينظر داخل بلورته السحرية، حيث تعرض له مشهد نهاية العالم كحلم.

ثم بدأ يقرأ بصوت مرتفع مقدمة الكتاب، وفيها يصف نفسه ككاتب يبحث دائمًا عن الجديد، لكي لا يصاب بالملل

حتى لا أكون أثيرًا للدقائق الخانقة، فهذا الجديد يجعلني أهرب من نفسي أميال وأبتعد عن حالة الكسوف الروحي الهدام. أنا الكاتب، فأنا قادر على أن أجعل الخيال حقيقة، لأنني أملك الأفكار لتحقيقه. هكذا أحدث نفسي دائما مثل الكهل الذي يحيا في صحراء يعلم كل شيء عنها ولا يريد أن تأتي إليه دائمًا وتقدم له العتاب والأعذار عن مدى قسوة حرارتها أو قلة المياه. عليه فقط أن يذكرها بالقدر فتبتسم الصحراء.

كان يملك القدرة أن يتحدث مع الجبال، مع حبات الرمال والرياح والسكون وكل قطرة من المطر. إنه لا يهتم بتغير الأقدار. شيء مرير ولكنه يريد أن يجعل أحفاده وأبنائه يعلمون بوجوده. في المناسبات يدعون لأجدادهم بالرحمات. هكذا نصنع مع الأموات. من العجيب إذا جعلني القدر أدرك قبرهم وهم متوهمون أنهم يدركون قبري.

أنا الكاتب. إنني أهوى الجنون وأفعل كل شيء بنفسي حتى أصل إلى منتهى الحبكة الدرامية. فأنا قادر على إقتفاء أثر ظلي بين الغيوم الداكنة وأنا متنكر في زي ملاك الرحمة والنجاة. أنا لا أقصد هذا. هذه مجرد صورة. أنها مجرد أشياء نفعلها ونرجع نتساءل عنها ونحن لا نقصد. لأن التناقض من سمات الإنسان، من الممكن أن أصنع خيرًا وأنا ذاهب لكي أصنع شرًا. مثل الأمطار التي تهدم وتحيي والشمس التي تدفئ وتعاقبنا بحرارتها. كل هذا يمثل حكمة نحياها ولكن لا نعلمها.

أنا الكاتب وكان لي صديق شخص يشجعني على الجنون لأن صديقي يعلم أن الجنون يحتاج طاقة هائلة لا تقل عن شخصين. وفي ذات يوم جاءني فكرة وهي الأما صديقي كان شخصًا ذات حضور ملفت وشخصية براقة وأناقة ولسان يخرج معاني جذابة ويمتلك أيضًا عقلاً سريع البديهة، وهو يعمل مصور لجميع الجرائد اليومية، إنه يعشق الحرية وي رفض الأغلال الحياتية، وكانت حياته ممتلئة بالأشخاص، كان يصنع معهم قصصًا شيقة.

وكان يأتي ويقول لي بهذا الفخر الأرستقراطي: "لماذا لا تكتب عني قصة؟". وأنا جالس أتأمله وكأنه مخلوق فضائي عجيب يثير غضبي كلما استخف بعقلي. إهماله لي حقا يقتلني. أخيرا أجبت عليه بعد كل تفكير قائلا له: "وأنا أوعدك أيها الصديق العزيز أنني سوف أصنعها لك، لأنك لا تملك النهاية الشيقة بعد. ولا توجد قصة مثير دون نهاية شيقة". وبدأ صديقي العزيز يروي لي عن الفتاة التي كان يمضي معها أجمل قصص العشق الغير ممنوع وعن الرحلة التي قام بها معها إلى البحر، روى لي كل التفاصيل كيف عبثوا سويا وكيف احتواها في وقت الغروب وكيف رقص معها على صوت الأمواج وكيف انتهى المشهد وهو يتذوق رحيق شفتيها.

وبدأ أيضًا يحكي لي عن اليوم الذي زارها في حجرة منزلها وهو متخفيًا بداعي الشوق، وعندما رأها بهذه الملابس الفضفاضة وكيف أذاب لها الشيكولاه وكيف أطعمها إياها على ضوء الشموع وغيرها من المواقف التي كانت تثير جنوني. جنوني ليس حقدًا عليه ولكن على زوجته وابنه الذي يعد في السابعة من عمره، ومن جنوني أيضًا أنني أحببت فتاة واحدة فقط وهو أحببته جميع الفتيات، لكن جاء إلى الفتاة التي كنت أهواها وجعلها بيننا بمثابة رهان. وبما أنه الآن زوجها وأنا ال...

أنا أتحول من رواية القصص لواقع الحياة الخاصة بي. المنزل هو مكان يشكل مقبرتي في الحياة، حيث أجد الهدوء والسكينة. يجب علي أن أسلك ذلك الطريق وأستعيد ما هو لي. أنا أمام باب منزلي وأشعر به بشغف. ثم وضعت المفتاح وفتحته. وقفت أمامه متحديًا، والإضاءة الخلفية تجعلني أبدو كالظل، ويظهر بين فراغات جسدي النحيل. ثم أشعلت النور وعيناي الخضراء ترصد وتراقب. أغلقت الباب واتوجه نحو الكرسي الهزاز وجلست وتأرجحت. بعدها قمت وذهبت إلى المكتب، الذي يعد مثل مقبرتي في الحياة. أشعلت الأباجورة الموجودة على المكتب ولمستها برفق لأجد أنها مغطاة بالغبار. نظرت وتوقفت عند صورة أمي التي ما زالت شابة، حملتها بين يدي وضوء المصباح يلمع فيها كوكب دري. تحدثت أمي قائلة: "قامت روحك بالانتقام، يا أمي. مزقت أحشاءه وجعلته يصرخ ويتألم. ارتاحي يا أمي، أصبح الآن في دار الحق. أنت ستنتقمين منه مرة أخرى في الحياة الأبدية وستقبلينه زوجًا لك في جنتك. أنت ستقتصين منه ثانية". ثم أمسكت القلم وكتبت على ورقة بيضاء بخط كبير "وعد صديقي العزيز، لا أنساه أبدًا".

ثم ذهبت لأتحمم وتصارعت مع جسدي لأزيل رائحة الشهور التي قضيتها في السجن. سمعت صوتًا يحدثني والماء ينهمر على وجهي. جسدي ينادي على ماء زمزم لأتطهر. ولكن كيف أستطيع محو ذكريات هذه الشهور؟ فالماء لا ينقي الروح ولا يغسل العقول.

ثم ارتديت ملابسي وذهبت إلى المقهى. علمت من صاحب المقهى أن صديقي أعطاه الكاميرا كضمان ورحل. ضحكت ونظر صاحب المقهى لي باستفهام بينما يتساءل عن سر ابتسامتي. إنه لا يعرف صديقي لأن الدين يقيده. صديقي كان يسعى للحرية أينما وجدت وكان على استعداد لدفع أي ثمن ليعيشها. كان يدفع جزءًا من دخله ليخطو خطوة في الطريق وينظر إلى السماء. سألته متسائلًا عن الطريق الذي يسلكه. أشار لي بفخر وهو ينفخ دخان شيشته بنظرة متجهمة. دفعت له ثمن المشروبات وأخذت الكاميرا وغادرت.

أنا الآن أمام الطريق المبلل بماء المطر الملوث، والزحام والناس تمر من أمامي وكأنني مجهول. أقف أمام هذا الطريق وأقلب الكاميرا بين يدي المرتجفتين. وصوت نفسي يحدثني قائلاً "ها أنت والحياة بانتظارك. قد أتاك وعد صديقك الذي طالما حلمت بتحقيقه لتستعيد كل ما هو ملك لك. عليك أن تحطم تلك القصة. عليك أن تترجم الواقع إلى كلمات وتنسجها لتصبح قصة تعبر عن الحقيقة وتلهب خيال القراء".

لحظات عادت إلى الواقع وأنا أتأمل صورتي في تلك البقعة المائية التي تتواجد في أسفل الطريق. ثم تأتي عربة مسرعة وتدهسها، مما يربكني ويجعلني ألتفت إلى الأمام لأرى هذا المنزل. أتأمله بعيني الخضراء وإضاءة العواميد الصفراء الذابلة تكتسيني تبايناً يجعلني باهت اللون. والقمر مكتمل ومشع، يراقبني، أستلهم طاقتي الجنونية منه. كيف تكون الآن ملامحها؟ هل ما زالت كالبرق الخاطف؟ لا يستطيع العيون تحمله ولا العقول استيعابه! أم صارت باهتة مثل شيء من الورود التي تذبل؟ حقاً، أخشى مواجهتها، فإن لقائي بها يشبه سقوط النيزك على الأرض. أخشى أن لا يتبقى مني شيء إذا التقيت بها. تعلق صوت نفسي بهذه الكلمات بعد أن تحول المشهد تدريجياً إلى المنزل الذي أقف أمامه... حتى يظهر أمامنا امرأة في الثلاثينات من عمرها تستحم، وتبلل المياه شعرها المموج قليلاً. وحبات الماء تزين وجهها وجسدها، كأنها متلألئة مثل الزهرة التي يكسوها الندى، وكأنها ينبوع من البريق. لحظات تعيشها وهي تنعم بالراحة والاسترخاء، تتلاعب بجسدها الخمري الذي ينبعث منه الحيوية عند لمسه. لحظات، ثم تنهض وتقوم بتجفيف جسدها بلطف ورقة. وكأنها تعطينا درساً في فن التعامل مع الأشياء الثمينة والنادرة، ثم ترتدي ثوب النوم الحريري الأرجواني. تجلس أمام المرآة وتفحص ملامحها بيأس شديد. فجأة تنتبه وتفزع بسبب صوت طرق عنيف يأتي من الباب. تتأخر قليلاً قبل أن تبحث عن الروب، وأخيراً تجده تحت السرير. ثم تسمع صوتًا غريبًا يأتي من الشبّاك، فتنتظر وتلحظ وجود شخص يُراقبها. لحظات، ولا تهتم كثيرًا بسبب تصاعد صوت الطرق الغريب، وكأنه ينذر بوقوع شؤم عليهم هذه الليلة. تنزل مسرعة من السلم لتصل إلى الباب وتفتحه، لتجد زوجها - صديقي العزيز. يبدأ في الصراخ والتحقير بسبب تأخرها، ويسألها: "أين كنتِ؟ أين؟" ترد عليه بارتباك شديد قائلة: "كنتُ أغير ملابسي." ثم يبدأ البحث في كل زاوية منزله بجنون وشكوك قائلاً: "أين طفلنا؟" تُجيب قائلة: "إنه يلهو بالكرة مع صديقه." ثم يقترب منها بهدوء مثل الثعلب عندما يروي غرائزه، وفجأة يمسك ذراعيها، ورائحة الخمر تنبعث منها، وتكتم أنفاسها حتى ينتابها الخوف. وبكل غضب الجاهلين يصرخ قائلاً: "من كان معكِ الآن؟" تُجيب بقلق قائلة: "إنه يلعب بالكرة مع صديقه." ثم يقترب منها مجددًا ويشد شعرها بقوة، يقول بهمس: "لا، أنا جلادك". ومن كان معكِ؟ هل ترتدين هذا الثوب؟" يُصرخ قائلاً. تُجيب بصوت ضعيف: "أنت من اختاره... كن حبيبي." ثم يرتفع صوته ويهدد قائلاً: "لماذا تأخرتِ؟ لمَن ترتدين هذا الثوب؟ لم يعد لنا علاقة حميمة منذ ثلاث سنوات!" ثم يقوم بدفعها على الأريكة الموجودة أمام التلفاز ويبدأ في تفتيش المنزل كالمجنون الذي تائه. يعود ويسألها بسخرية: "لمَن ترتدين هذا الثوب؟" تُجيب بارتباك وهي تصرخ وتستغيث: "لك، أنت من اختارته." ثم يقترب مرة أخرى منها ويمسكها بشدة من شعرها قائلاً: "لا، أنا جلادك، ومن كان معكِ؟ أظهر ودافع عنها، دافع عن ليلتك حتى أيها الجبان!" ثم يرفع يده ليصفعها، وفي تلك اللحظة يرن جرس الباب، فيتراجع عن فعلته. يدفعها نحو الأريكة ثم يتوجه نحو الباب ليفتحه. يجد ابنه الصغير الذي يحمل كرة في يديه وجسده النحيل، وهو في السابعة من عمره يدخل

أجبي لماذا ترتدين هذا الثوب؟! (صارخًا)

لماذا تأخرتي؟! لمن ترتدين هذا الثوب؟

نحن لم نعد نمارس الحب منذ ثلاث سنوات.

ثم يدفعها على الأريكة التي أمام التلفاز، هو يبحث في أنحاء المنزل كالمجنون الذي لا يعرف ضلته.

يعود ويسألها: "لمن ترتدين هذا الثوب؟"

تجيب وهي تصرخ بالدموع والاستنجاد قائلة: "لك.. أتذكر أنت من اختارته.. كن حبيبي؟!"

ثم يقترب مرة أخرى منها ويمسكها من شعرها قائلاً: "لا، أنا جلادك، ومن كان معك... اظهر ودافع عنها.. دافع عن ليلتك حتى ايها الجبان!"

ثم يرفع يده لكي يصفعها، يرن جرس الباب فيتراجع عن فعلته.

ثم يدفعها نحو الأريكة، ثم يشرع في فتح الباب.

يجد ابنه الذي يحمل الكرة بين يديه وجسده النحيل، وهو في السابعة من عمره يدخل إلى المنزل ويشعر بشيء غريب يحدث.

وأكدته دموع أمه عندما وجدها بهذه الحالة، رمى الكرة وجرى عليها واحتضنها، متسائلاً بصوته العطوف الرفيع: "لماذا تبكي يا أمي؟"

لا تجيب عليه وتتزايد على طفلها بالأحضان، تريد أن تختبئ بداخله، وهو يحنو عليها بأنامله الصغيرة برفق، يزيل دموعها الغزيرة.

وبدأ الطفل يخاطب أباه وكأن الأدوار قد انقلبت.

بدأ الطفل يحدثه مثل شيم الرجال، قائلاً: "أنت فعلت بها ذلك لما أنت غليظ القلب يا أبي، لما أنت قاسي كالصوان."

أَحِنُّ عَلَيْنَا تَنْعَمْ بِالسُّكُونِ، يَا أَبِي.

يُفَصِّلُهُمْ عَنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ جَرِسُ الْبَابِ. يَتَّجِهُ صَدِيقِي نَاحِيَةَ الْبَابِ، يَفْتَحُهُ. لَمْ يَجِدْ أَحَدَاً، يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ، يَجِدُ وَرَقَةً مَلْقَاةً.

يَفْتَحُهَا بِرَفْقٍ وَيَنْظُرُ بِدَاخِلِهَا لَحَظَاتٍ. يَضْحَكُ بِشِدَّةٍ وَتَتَعَالَى ضَحِكَاتُهُ.

تَخَشَّى عَلَى طِفْلِهَا، تَأْخُذُهُ فِي صَدْرِهَا، هُمَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ بِدهْشَةِ.... ؟!!

هُوَ يُلْقَى الْخَطَابَ عَلَيْهِمْ وَكَأَنَّهُ يَمْثُلُ دَوْرَ مَجْنُونٍ فِي مَسْرَحِيَّةٍ لِشَكْسَبِيرَ، قَائِلًا:

"كُنْتِ رَائِعَةً فِي هَذَا الثَّوْبِ الْأَرْجُوانِيِّ،

مِثْلَ زَهْرَةِ الْكَاتَانِيَا،

أَمَّا جَسَدُكِ الْخَمْرِيُّ يَزِيدُ وَلَعِيَّ،

أَرْجُو سَيِّدَتِي أريد أَنْ أَحْيَا عُمْرِي كُلَّهُ لِكِي أَتَامَلَ عَيْنَيْكِ،

فَقَطْ عَيْنَيْكِ.. تَبًا لَمْ يَسْعَفْنِي عُمْرِي لِكَيْ أَعْبُرَ عَنْ شُغْفِي بِكِ... كُلُ شَيْءٍ بِكِ هُوَ جَنَّة

ُ قَلْبِي الْعَاشِقِ، يَسْأَلُ: هَلْ مِنْ وَصْلٍ قَرِيبٍ؟!!"

ثُمَّ يَحْمَرُّ وَجْهُ مِثْلَ الْبُرْكَانِ وَيَصْرُخُ فِي الصَّبِيِّ، قَائِلًا:

"اذْهَبِ إِلَى غُرْفَتِكَ الْآنَ... لَا يَسْتَجِيبُ الطِّفْلُ الْمُخْتَبِئُ فِي صَدْرِ أُمِّهِ خَوْفًا، يَذْهَبُ وَيُنْزِعُ الطِّفْلَ مِنْ بَيْنِ أَحْضَانِهَا بِبَدَءِ الطِّفْلِ بِضَرْبِهِ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ يَدِهِ الْمُحْكَمَةِ عَلَيْهِ بِشَدَّةٍ.

وَلَكِنَّهُ لَا يَهْتَمُّ صَدِيقِي بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَى الْغَضَبِ وَالِانْتِقَامِ، وَبِعُنْفٍ يَجْرِهِ فِي الْأَرْضِ وَالطِّفْلُ فِي انْهِيَارٍ تَامٍّ، يَصْرُخُ وَيَنْعَتُ أَبَاهُ بِالْغَبَاءِ وَيَفْصِحُ عَنْ مَدَى كَرَهِهِ لَهُ.

ثُمَّ يَرْمِي الطِّفْلَ بِدَاخِلِ غُرْفَتِهِ وَيُوَصِّدُ الْبَابَ بِالْمَفَتَّاحِ، بِبَدَءِ الطِّفْلِ يَشُدُ عَزَائِمَهُ مُحَاوِلًا أَنْ يَفْتَحَ الْبَابَ، وَلَكِنَّهُ يَفْشَلُ... بَدَأَ يَنْدَفِعُ رَاكِضًا بِأَتْجَاهِ الْبَابِ، يُرِيدُ أَنْ يَحْطُمَهُ، وَبَعْدَ عَدَّةِ مُحَاوَلَاتِ اصْطَدَمَتْ رَأْسُهُ بِالْبَابِ فَسَقَطَ

أَرْضًا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

إِمَّا خَارِجًا، كَانَ صَدِيقِي يَسْأَلَ زَوْجَتَهُ بِغَضَبٍ دَاخِلِيٍّ وَهُوَ يَجِزُ عَلَى أَسْنَانِهِ مُتَصَنِّعًا الْهُدُوءَ، قَائِلًا:

"مَنْ أَرْسَلَ لَكِ هَذَا الْخَطَابَ؟"

أَجَابَتْ قَائِلَةً:

"هَذِهِ الْوَرَقَةُ تَعْبِرُ عَنْ خِيَالِكَ الْمَرِيضِ الَّذِي يُرِيدُ إِنْ يُقَسِّمَنِي إِلَى خَائِنَةٍ وَعَاهِرَةٍ،

هَكَذَا تُرَانِي؟؟؟؟

هَلْ هَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ؟

لا أجد غير الله احتسب له .....

يغضب وينهال عليها ضربا بيده

وهيا تصرخ . ... وهو بملامح شيطانية قائلا :.

كلما صرختي سوف أزيدك أيتها الفاجرة .

ثم قام بنزع حزام بنطاله السميك

و عندما أستعد لكي يضربها منعه جرس الهاتف المنزلي بصوته المزعج

ذهب و رد عليه لا احد يجيبه يبدأ ينعت المتصل بالسباب

قائلا :.

أجب أيها الخنزير كن رجل و اتى لى ..

ويبدأ يقرب السماعة الهاتف ناحية زوجته وهيا تبكى وتتألم.

وهو قائلا :.

هل تسمع أنينها كن رجل و أتي لبى نداء نجدة عاهرتك أيها الكلب المدنس .

.... لا احد يريحه ويجيب عليه ...

فيلتفت إلى ناحية هاتف و حطمه .

ألتفت فجأة وجد زوجته تحمل (ألفظة) وتريد أن تضربه بها .. فأنتبه متفادي ألضربه ثم أخذها منها و ضربها

بها على رأسها فسقط أرضا مغشي عليها والدماء تسيل بغزارة بالغه ...

تركها وهو ينهج و ترتسم على وجه الصدمة والذهو ل حتى وصل إلى الثلاجة فامسك بزجاجة الخمر وراح يشرب منها بشراهة وذهب إلى الأريكة وجلس عليها و أخذ يشاهد زوجته فى المنتصف بمنتهى الأريحية حتى تريد عزيز القارئ أن تنعته بالجنون .

ثم، ذهب إلى الغرفة التي يستخدمها كمعمل لتحميض صوره الفوتوغرافية. تلك الغرفة صغيرة جدا ومحدودة المساحة، تشبه المستطيل. تُنير بإضاءة حمراء، ولا يستغرب العدد الهائل من الصور الموجودة فيها.

ثم جلس على مكتبه في أقصى زاوية الغرفة، وشرب بشراهة من زجاجة الخمر. بعد ذلك، فتح إحدى أدراج مكتبه وأخرج مسدسًا ومجموعة من الطلقات. مر الوقت وهو في حالات تصف حيرته المستمرة. أحيانًا يشرب الخمر ويعبث بالمسدس، ويجعله يدور ويتأمله حتى يقف. وفي أحيانٍ أخرى يقرأ خطابًا ويراقبه بينما يبكي. وفي لحظات أخرى يقف ويصوب

المسدس نحو إحدى صور زوجته. وأخيرًا، يشرب ما تبقى من زجاجة الخمر ويراقب الإضاءة الحمراء وكأنه يريد أن يجد الذهب بداخلها، وليعرض أخر مشهد، وهو يطلق الرصاص على صورة.

ثم، تدور الأجرام الفلكية حتى ينتقل القمر وتشرق الشمس ليعلنا عن صباح جديد. صديقي الآن ملقى على الأرض داخل معمله، لا يتحرك ويبدو ثابتاً.

أما في الخارج، فتستيقظ زوجته بخطوات غير متزنة وتذهب لتفتح الباب لابنها، وتجده يحمل صورة لها. ترى وجه أمها مليئًا بدماء جافة. يندفع نحوها ويقدم لها المساعدة والدعم كأنه رجل بالغ، ويقول: "تمسكي أمي، سأذهب بك إلى المستشفى، فأنا بجانبك يا أمي."

ثم تدور عقارب الساعة لتعلن لنا أن الوقت قد مضى. تظهر الزوجة وهي ترتدي ملابس الخروج وتحمل حقيبة سفر متوسطة الحجم بيديها. تنادي على طفلها وتسأله: "أين الكرة؟"

يبدأ المشهد بالانتقال إلى داخل المعمل. صديقي يستفيق ببطء شديد من غفوته، ويعاني من اضطرابات في أمعائه.

بالخارج، تستعجل الأم بتوتر مخيف طفلها قائلة: "هيا، أسرع، سأشتري لك كرة أخرى."

ولكنها لا تلفت اهتمامه، ويستمر في البحث عنها بإصرار غريب في كل مكان.

في داخل المعمل، صديقي يمسك بإحدى الأكياس السوداء ويتقيأ فيها. فجأة، يفتح الطفل الباب بصدمة ترعبه ويواجه أباه.

بينما الأم في الخارج، تجد الكرة في المطبخ بالصدفة، تزيل الغطاء وتأخذها، ثم تذهب كأنها طفلها الذي يناديها.

في المعمل، يمسك الأب بالمسدس ويصوبه ناحية الطفل، قائلا: "لا علم لي إن كنت ابني أم انك ناتج خيانتها لي."

تأتي الأم لتجد طفلها متجمدا في مكانه أمام المعمل، قائلة: "هيا، بنا يا عزيز، حتى لا يجدونا."

يقاطعها الزوج قائلا: "أين ستذهبين؟"

تسود لحظات من الصمت والخوف والصدمة، في الوقت الذي يصوب الأب المسدس نحوهما، يصرخ قائلا: "أجيبي، أين كنتي؟"

تقاطعها بإلقاء الكرة في وجهه وتستمر في إغلاق باب المعمل عليه بالمفتاح. وهو يجن جنونه ويضرب الباب بقدمه، وهي تسرع وتأخذ الشنطة وتخرج حتى تصل إلى العربة، تفاجأ بأنها قد تركت مفتاح السيارة على طاولة المطبخ.

تقول له بحزم: "انتظر هنا، سأحضر مفتاح السيارة."

يقول بثقة: "لا، سأحضرها أنا."

تضغط على كتفها بحزم وتقول: "انتظر هنا."

تدخل المنزل وتأخذ المفتاح من على الطاولة. تسمع صوت الرصاصات المتلاحقة بعد مرورها من باب المعمل. تركض بسرعة نحو باب الخروج قبل أن يوصده باب المعمل لحظة. يظهر صديقي على بُعد عدة أمتار ويصوب المسدس ناحيتها. توصد الباب من الخارج بالمفتاح.

يبدأ الأب بغضب وهو يتصارع مع مقبض الباب ويحركه بجنون، يصرخ ويطلق النار عليه. ثم يفتح الباب ويخرج، يجد أنها قد ذهبت بسرعة في السيارة. يصوب المسدس ناحية السيارة حتى تختفي عن أنظاره.

بعد لحظات من الصدمة والذهول، يعود الأب إلى داخل المعمل بخطوات ثقيلة وعينيه تنبعث منهما الغضب. يلتفت حوله ويرى الفوضى داخل المعمل. يستلم هاتفه المحمول من الطاولة ويتصل بشخص ما.

"نعم، أعتقد أنها هربت. لا أجد لها أي أثر. والآن، ستكون العواقب وخيمة..." يقول الأب بصوت ثقيل.

في الوقت نفسه، تتغير حياة الأم والطفل، ويقفان في مكانٍ آمن بعيدًا عن المعمل. يجلسان في السيارة وتتدفق الدموع من عينيهما. تحاول الأم تهدئة الطفل وتخبره أنهما آمنان الآن وأن والدهما لن يؤذيهما بعد الآن.

"إلى أين سنذهب؟" يسأل الطفل بصوت خائف.

"سنذهب إلى مكان آمن حيث لا يستطيعون أن يجدونا. ستكون كل الأمور على ما يرام" تجيب الأم بصوت مرتجف.

تنطلق السيارة بسرعة، تبتعد عن المعمل وعن عالمٍ مليء بالخطر والفوضى. لا يدرك الطفل تمامًا ما يحدث من حوله، ولكنه يثق في أمه ويعلم أنهما سيتجاوزان هذه التجرِبة المروعة معًا. وفي قلب الأم، تشتعل النار من الحزن والقلق، ولكنها مصممة على حماية طفلها وتوفير حياة أفضل لهما بعيدًا عن الخطر والظلم.

بما أنني الكاتب، لي كل الحق في أن أجدها عندما تحتاجني. نعم، لقد التقيت بها عند تلك الأرجوحة التي تجسد براعم طفولتها. سردت لي كل تلك التفاصيل التي ذكرتها، وليس لي الحق أن أعلم الغيب، لأنني الكاتب، فأنا مجرد كاتب!

قلبي ينشد أنشودة الحياة كلما أجد هذه الشخصية أمامي وأتحدث معها. إنها أحساس قيم، وأنا لا أريد أن ينفد من داخلي حتى يدركني الموت. إنه أحساس لا أنوي مشاركته مع أحد. أراها وهي تشكو لي، وأنا جناح رحمة لها. أقترب منها وبتوتر وحياء شديدين، أزيل دموعها بأناملي المرتاحة، لمست خدها المتلألئ ببريق دمعتها.

أنا سر من أسرار الوجود والحياة عندما يحتاج لك أحد، وهي اختارتني أنا حتى ألبي احتياجها. وكأنني تجسدت في صورة مصل ودواء نادر لها، أنا فقط من على حضن يستند شفاؤها. فأرمت رأسها على كتفي لتجدد طاقتها. أجوب الأرض فرحًا لكي أنعم بهذه الحالة.

أشعر بدقات قلبي من قوتها قد أحدثت صدعًا هائلًا في ضلوعي. حقاً، أنا تناثرت في الفضاء وأحاول أن أجمع نفسي ثانيةً ببعض الهمس وكلمات الأمل. تنظر إلى الأمام بعيون مدمعة للمدى، تريد أن تشارك العالم همومها. فعذراً لك أيها العالم، لقد اختارتني أنا. روت لي أنها تمضي وقتها عند صديقتها الغنية المرفهة. وتصف لي أنها تعاني من الحفلات المستمرة التي تقيمها في قصرها. إذا لم يكن هناك حفل، فهناك ألعاب البوكر والخمر. كل هذا عبء في سعة التحمل، لكن العبء الذي لا تستطيع تحمله هو سؤال العامة والتدخل في شؤونها الخاصة. فتداولوا الأحاديث عنها بينهم... حتى علم والدها أنها تعاني من مشاكل.

وفي أحدى الأيام، انتظرتها أمام مدرسة ابنها، ثم ركبت معه سيارته الليموزين. وسألها بمنتهى الكبر الذي يترجمه السيجار الكوبي وكأس الشمبانيا، قائلاً: "من فعَلَ بكَ هذا؟" وتجيب وهي تضحك بعض الضحكات اليائسة، قائلة: "لا أحد يا أبي". ثم تشاور على كدمة أسفل عينها وتكمل حديثها: "أما هذه بمنتهى البساطة، نوع من أنواع سوء الاختيار التي حدثتني عنه من قبل، ولكن غرورك ورؤيتك لي كانني شيء تملكه ليس له حق في الاختيار. كل هذا منعني أن ألبي أو أنصت إليك. رؤيتك على صواب يا أبي، ولكن طريقتك لتوصيلها لي خطأ. ليت الآباء يختارون الطرق المثلى لينصحوا أبنائهم. فحقاً عليكم أن تجدوا طريقة صحيحة لنستمع إليكم". رد قائلاً: "يجب أن يعاقب زوجك. يجب أن يتعلم ألا يعبث بمتعلقاتي، إذا أراد الحياة... أستطيع أن أجعله لعبة في يديكِ". أجابت قائلة: "لا أريد لعبة، بل رجل! لا بل أريد حياة".

رد قائلاً: "سوف أعاقبه". قاطعته قائلةً: "لا أريد له ذلك. إنه مازال يحبني، ولكن بشكل خاطئ مثلك. إذا أردت أن تساعدني يا أبي، فجِد له وظيفة في إحدى الجرائد الكبرى". فقام بطردها بهذا الغضب الاستقراطي ولم يتردد لحظة، قائلاً: "ارحلي من هنا. ستموتين بداء السذاجة المزمنة. ارحلي ولا تريني وجهك مرة أخرى". فنزلت من السيارة، وصوت نفسها يحدثها قائلاً بإلحاح: "لا تبكي، لا تبكي". فاستجابت بملامح متحدية وساخطة، وتسير بخطوات مسرعة ممسكة بابنها يهرول خلفها. ابتعدت عدة أمتار، فعاد أباها مرة أخرى واستدارت السيارة وفتح الزجاج. رمى لها شنطة من الأموال وهو لا ينظر لها. ثم أشار إلى السائق بأصابعه الوسطى والسبابة أمراً له أن يذهب، فلبى أمره وذهب مسرعاً.

وهي الآن بجانبي تحكي عن كل شيء تريدني أن أعيشه معها. وتراني مهدها المنتظر الذي سيخلصها من قسوة زوجها ولعبة الشك التي يمارسها معها وجفاء والدها.

فطمأنتها قائلاً:

"سوف أنتصر لكِ، سوف أحجب عن الناس ضوء القمر، ونحيا جميعاً بضيائك. فطلبي الوحيد منكِ هو أن تتحلى بشئ من الصبر."

فأجابت:

"الذل والظلم لا يجعلاني أن أهوى الصبر. ما عدت قادرة على أن أكمل هذه اللعبة التي تسمى التضحية. أنا سأمت."

بدأ صوت نفسي يحدثني، جعلني أراها مجرد صورة تتحرك لا صوت لها. لا يوجد سوى صوت نفسي الذي سرحتُ معه. ويكمل قائلاً:

"لا يجب أن تستمري في هذه الشخصية المثلى. فقد ولى هذا الزمن واندثر. يجب أن تنظري للحياة كما أنا أراها. يجب أن تحيي وسط تلك المتناقضات، لا مهرب. تلك سمة وجودية. لقد جاء الوقت أن تستردي كل ما هو لكِ مثلي. يجب أن تتحكمي في سمات التناقض. لا تكوني مثل خيال المئتيه يفعل كما تأمره الرياح. يجب أن تتأمي من دور الضحية والمظلوم."

فردت إليه قائلة:

"ماذا كنت تقول؟"

أجابت:

"أنا لم أتحدث، وأنتِ تعلم كل شيء عني!"

فأشارت لها مبتسماً أن تشرب نخب هذه اللحظة. فالتقيا الكأسان المملوئان بالنسكافيه ببعضهما وضحكنا سوياً.

فستوقفني شيء لا أعلمه.. هل هو جمال اللحظة التي أحياها الآن؟

فنظرت لها بهذا الشغف، فبادلتني بمثلها وزينت جمالها بالحياء.

وصوت الكاتب عاد يحدثني في رأسي قائلا: "كل ما أعلمه هي، هي فقط جعلتني أن أحيا... لأنها فقط بجانبي وتراني كما أشتهي. فكم أنا مشتاق حتى أرى صورتي تتلألأ في عينيها. عينيها مجرد فضاء أو سكن، لا هيا وطن... هيا شيء يدعى الحب. لقد جعلت لوجودي في هذه الحياة علة وسبب أكاد أحياه ولكن لا أعلمه. كل ما يهمني هو أنها الآن بجانبي نغير طعم الحياة المرير بالمشروب الدافئ. وعندما كنا صغارًا كنا نعيش نفس هذا المشهد، نتذكر أجمل سنين مرت. ما زلنا نتطلع لعيشها مرة أخرى، ليتنا نعود صغاراً حتى تفرحنا وتسعدنا أقل الأشياء. ها نحن أصبحنا كباراً منذ أن كنا صغاراً."

ثم بعد ذلك دعتني إلى إحدى الحفلات الأرستقراطية التي تقيمها صديقتها في قصرها. تُسمى هذه الحفلة بعيد الهالوين، إنها حفلة تنكرية. الفقري أمثالي لا يهتمون بمثل هذه الأعياد ولا يحتاجون أن يخفوا شيئًا وراء قناع. فأنا أعلم أن الفقر ليس له قناع.

وبدأت تلح بالترجي وربطت سعادتها بمجيئي في هذه الحفلة. وفجأة نهضت قائلة: "ابني... قد تأخرت جدًا عليه." بدأت تنظر إليَّ بعينيها وكأنها تتهمني بأنني جعلت الوقت يسرقها... وأنا سعيد جدًا بهذا الاتهام.

استدارت وهمت بالرحيل ومع أول خطوة لها، تعثرت وسقط منها الكوب ثم هيا من ورائه. لكنني أمسكت بها قبل أن تُصتدم بالأرض. حملتها وهي فاقدة للوعي تمامًا حتى وصلنا إلى إحدى العيادات. هناك، فحص الطبيب حالتها وقال لي: "إنها ستستمر في هذه الغيبوبة حتى صباح الغد." ثم أخبرني قائلاً: "لقد قمت بما يلزم الآن، ولكن يجب عليك أن تأخذها إلى المستشفى ولا تنتظر طويلاً حتى لا تسوء أكثر."

أجبته قائلاً: "ما هو أقرب مستشفى يبعد عن هنا ثلاث ساعات؟ هل يمكنني أن أخذ ممرضة معي لتساعدها عندي في البيت، فبيتي لا يبعد عن هنا سوى دقائق."

وفعلت ذلك، قمت بأخذها مع الممرضة إلى منزلي واهتممت بها وقامت الممرضة بدورها على أكمل وجه. ثم مضى الوقت شيئًا فشيئًا حتى أعلنت الساعة الحادية عشر. فجاءت الممرضة وطرقت غرفة المكتب، فأذنت لها بالدخول.

وقالت لي: "إن حالتها الآن قد استقرت تمامًا، وقد قمت بقياس معدل الضغط ووجدته وصل إلى النسبة الاستقرار اللازمة."

أجبتها قائلاً: "لا أجد كلمات تكفي لشكرك على ما قمتي به من أجلنا. شكرًا جزيلاً لك."

ردت قائلةً: "لا حاجة لذلك، فأنا حيًّا لذلك فلا تشكر."

صحيح، لكن يجب أن أذهب الآن بعدما تجاوزت الساعة الحادية عشر. فقمت بمرافقتها حتى الباب وابتسمت لها. ثم قدمت لها مبلغًا كبيرًا من المال وفتحت الباب لها وأغلقته بعد خروجها.

لكن الأمر استغرق لحظات قبل أن أصل إلى غرفتي حيث تقيم حبيبتي. سمعت طرقًا على الباب، فتوجهت لفتحه ووجدت الممرضة تقول: "يبدو أنك أخطأت في المكافأة."

أجبت قائلًا: "لم أخطئ، هذا ما تستحقين. اذهبي واجعلني ذكرى سعيدة في حياتك، كوني واحدة من الأشخاص الذين ساهموا في سعادتك في يومٍ ما."

أجابت قائلةً: "أنت بالفعل شخصٌ رائع، قمت بشكري بطريقة لم يفعلها أحدٌ معي من قبل. لا يكفي الشكر للقدر الذي قمت به من أجلي. شكرًا جزيلاً لك." ثم غادرت وأغلقت الباب.

سمعت طرقًا على الباب مرة أخرى ووجدت الممرضة قائلةً: "سوف أتذكرك، سيدي!"

رديت قائلًا: "إذا احتجتي إلى أي شيء، لا تترددي في زيارتي في أي وقت."

ثم ذهبت ونزلت السلم حتى اختفت تمامًا.

الآن، هي نائمة على سريري، أنا أشاهدها ووجهها يلامس وسادتي. أجلس على هذا الكرسي الهزاز وأنظر إلى ملامحها بتأمل. ثم اقتربت منها ووضعت يدي على شعرها الناعم المتدلى على وجهها، أزيله برفق حتى أتمكن من رؤية وجهها بالكامل. ببروح هادئة، ألامس عروق يديها وأصابعها بلطف. ثم حملت كفها وقبلته من الداخل، جعلته وسادة لرأسي ليكون مريحًا حقًا. قضيت ليلتي مسترخيًا، ولم أكن طائشًا، بل كنت متأملاً وعاقلاً وليس خائنًا. نعم، جاء إليّ الشيطان وبعد عدة محاولات فاشلة، نجح وأقنعني بشيء واحد. فعقدت صفقة معه وقبلت الشرط الوحيد الذي وضعه. وصدقته...!

رغم أنه الشيطان، إلا أنه لا يفشي الأسرار

وكان شرطي، لا حد يعلم سوانا.

فرحل عني بعد أن تأكدت أنني قمت بتنفيذها.

لحظات وانتابني النعاس...

استيقظت صباحا وأنا على هذا الكرسي الذي يجعل المشهد غير مستقر في عيني، حتى تأكدت مما أرى.

هل كنت أحلم البارحة؟

لا أجد حبيبتي ولا أثر للأدوية، وأرى كل شيء مرتب ومستقر. لحظات من الشك أتساءل ونفسي تحدثني.

ألم تكن هنا البارحة؟

هل كل هذا ما جسدته مخيلتي الحمقاء؟!

نظرت إلى المرآة وجدت برقية معلقة عليها، فنظرت بداخلها.

فحمدت ربي قائلا: "نعم، كانت هنا..."

لحظات من تأملي في البرقية، فتذكرت الكاميرا. فرميت البرقية وابتدأت في البحث عن الكاميرا بشيء من الجنون. كنت أبعثر كل شيء بدون ترتيب. أخذت أجوب كل مكان كما الأخرق الكفيف، ونفسي تحدثني قائلة: "يا للها من كارثة! هل وجدتها وأخذتها معك؟ أين وضعتها؟ نعم، أخذتها بالتأكيد. إنها تعلم أنها ملكاً لزوجها."

أخيراً، جلستُ أمام خزانتي الخاصة، ممسكاً بالكاميرا. أتساءل ونفسي تحدثني قائلة: "هل أنا من خبأتُها بداعي الصفقة الشيطانية؟ أرجوكم، انتظروا وتحملوا هذا الثمن البخس، وهو الانتظار، حتى أفصح لكم عن الاتفاق الشيطاني ولماذا بحثت عن الكاميرا بهذه الطريقة."

هل وجودها عندي في هذه الليلة أسكرني، حتى أنني لم أتذكر أين وضعتُها؟ هل يحق لي أن أطلق على نفسي وصف المجنون من شدة التعقل؟ ما هو حلُ هذه المعادلة؟ هل أنا شرٌ أم خيرٌ؟ كثيرٌ من الأسئلة والثمنُ بخسٌ.

من منا لا يهوى القصص الشيقة والألغاز؟ وأنا الكاتب الذي يملك الأجوبة. لكن تمهل قليلاً. فقد غزلتُ خيوطَ دراماتي الآن...

والآن أنا أتنكر في صورة هذا الكهل الحكيم ذا العقلية الفريدة، إنه المؤلف الكبير الذي أتخيله دائماً بهذه النظارة الدائرية وهذا الزي الأرستقراطي الكلاسيكي الأنيق وأرائه الصادقة والصادمة والفلسفية والهزلية. أتخيله بهذا العكاز وهذا الشارب واللحية الكثيفة من أسفل الفم، فقط إنه رجلٌ من عصر الحروب العالمية. أنا فعلاً أعشقه.

سوف تعلمون من هو في موعد الحفل، ولكن عليَّ الآن أن أجري ثلاث مكالمات هاتفية. أما ثانياً، على أن ألتقي بشخصٍ هام بعد أن قمت بتحديد ميعاد معه، ولكنني لم أذهب لملاقاته، ولكن سوف تصله رسالتي بالتأكيد وسوف يسعد بتلقيها. إنه صديقٌ ملاك الموت، إنه سالب الأرواح، يقول دائماً لأعدائه بغروره الحازم وبصوته الغليظ: "إذا أردت أن تعيش، لا تعبث بمتعلقاتي".

سوف تعلمون من هو، ولكن لا أريد أن استبق الأحداث وأكون صادقاً وليس كاذباً.

ها أنا بعد أن رميتُ بذور درامتي، إذًا يجب علينا انتظار حصاد حبكتنا الدرامية. إنه الشرك الذي سوف يريح الجميع. هذا الشرك بمثابة آلة زمن، ستعيدنا إلى نقطة الصفر، حيث العدالة واستعادة كل شخص منا ما يستحقه. ولكن تحتم علينا الأقدار أن يكون هناك خاسرٌ أو ضحية. نعم، هكذا تبدو الأمور شيقة ومثيرة. أنا لا أقصد قصتي بل العالم الذي يجسدها قصتي.

حان موعد الحفل حقًا. ذهبتُ وأنا متنكرٌ في شخصية (برنالد شو)، هذا المؤلف الهزلي الحكيم. كوني كاتبًا مثله، قمتُ باستدعائه لأضفي بعض الإثارة التي أحتاجها في مثل هذه المواقف.

دخلتُ والناسُ ينظرونَ إليَّ وكأنني (بنكيو) أو كائن فضائي غريبٍ، لا يعلمونَ من هو الذي يتخفى وراء برلند شو؟؟؟؟

ابتدأتُ البحثَ عنها وأنا أحملُ بينَ يدي الكاميرا.

أخيرًا وجدتُها، إنها الملكة.

هل تعلمونَ أنها أضفت رونقًا وجمالًا للملكة إليزابيث القوية؟

الجموعُ تنظرُ إليها بشغفٍ يكسوه السحرُ، وكلما تقدمتْ خطوةً، افسحوا لها الطريقَ.

شعر كل من يحملُ صفةً مؤنثةً بالغيرةِ منها، بدأ الرجالُ بترك نساءهم وأنحنوا نحوها جميعًا.

بدأتُ جميعُ الرجالِ يتقدمونَ نحوها يتصارعونَ من يُقبِّلُ يديها ومن ينظرُ من بعيدٍ ويضعُ نظرتَهُ لِكَيْ يتحققَ من بريقِ وجهها المشمس.

فَأَنْتَهَى بها السيرُ حتى وصلتْ أمامي،

انحنتْ لي بهذه الطريقةِ الملكيةِ التي تعبِّرُ عن العظمةِ.

فَقَبَّلتُ يديها اليُمْنَى من الداخلِ ثُمَّ وَضَعَتْها فوقَ ظَهْرِ يَديَّ...

... سيدي برنالد، أنت تدينُ ليَ بالشكرِ الآن، تُمَنِّحَكَ لقبَ الأميرِ بفضلي في هذه الليلةِ.

وكأننا صرنا جناحين نتسلَّقُ سويًا، أخذتُ أدورُ بها لكي يفسحوا لنا مجالًا، فعلا بدى الجميعُ من حولنا في صورةِ دائرةٍ كبيرةٍ يشاهدونا.

ثم جاء خادمُ الحفلِ وأخذَ مني الكاميرا، ثم أصدرتُ يَدي صَفقتين.

فتَبَدَّلَتْ الإضاءةُ في المكانِ إلى لونِ البرقِ الأزرقِ الخافتِ، فكُسِّنا وصرنا كما النجمين.

ثُمَّ عَزَفَتْ لنا الموسيقى تلكَ الأنغام الساحرة الأندلسية.

وأصبحتُ أرقصها وأنظرُ إلى بريقِ عينيها اللامعة، وكانتْ عيناها صارتْ منبعًا لهذا الضوء.

صرنا للناسِ كما الحلم، وهم صاروا لنا شيئًا من الظل.

بدأوا يَتَساءَلُونَ، من هو هذا الذي يرقصُ مع الملكة؟

أعتذر لكم، فأنا لا أهتم بمن يَسألُ ولا أهتم بالزمنِ ولا بالأشياء، أهتمُ فقط بالرقصة، أهتمُ فقط باللحظةِ التي جَعَلت فرحتي كما الزلزالِ. أخشى أن ظهرت تَحطَمَ القصرُ ويصيرَ نسياً منسيا.

وكلما مرت علينا اللحظات، كلما طوقتُها أكثر بين زراعي.

أخذتُ أرقصُها بشغفٍ جميع الحاضرين، بل بشغفِ السنينِ التي عشتُها من دونها، وأنا أحلمُ بتلكَ اللحظةِ، أقصدُ الرقصةَ.

كل يومٍ في حلمي أمجدها، في خيالي أرسمها وأفكاري تلونها. ها أنا الآنَ أحيا لأول مرةٍ.

ثُمَّ انتهتِ الرقصةُ بيننا، ووُجوهُنا قريبانِ من بعضهما، نُريدُ أن نمتزجَ سويًا، هكذا تخبرني دقَّاتُ قلبي المتسارعة.

وأنفسها الحارة التي أسكرتني تريدني أيضًا بأن أتذوق رحيق شفتيها.

لحظات من السكون، ثم هنالك هتافات التصفيق التي هطلت علينا.

وتبدّلت الإضاءة لتكون بيضاء كنهار، وساد الهدوء بعد ذلك ونحن مازلنا نرقص ونبتسم.

صحونا على هذه الصَفقة المنفردة التي تصدر من زوجها الثمل... نعم، إنه صديقي.

بدأنا نبتعد برفق وهو يصفق ويبتسم ابتسامة صفراء، وهو يدور حولنا.

ثم جاء النادل ومعه الكاميرا، فأخذها صديقي وبدأ يلتقط لنا الصور.

قائلاً: "يجب أن تدون هذه اللحظة وتحتل الصحف الأولى، الكاتب الذي خان صديقه مع زوجته، ابنة رجل الدولة الشهير".

...وبدأت الناس تتهامس عما يرونه...

فقلت له بحده: "اهدأ، لا تفعل ذلك الآن، لاحظ أنك سكران ولا تدري ماذا تفعل".

رد ضاحكا بسخرية: "أنا مازلت ثملاً.."

أجبته بحزن: "نعم... عقلاً سكيرًا وجسدًا مريضًا يحملانهما إنسان ظالم وجاهل."

بدأ يتحرش بزوجته أمام الجميع، مثل المحرمين جنسيًا، قائلاً: "وأنت يا زوجتي، بماذا ستعلقين؟ هل كان يلمسكِ بشغف يفوق شغفي؟"

بغضب، دفعته بعيدًا وهي تبكي وترتجف من أفعاله الصادمة. ثم عاد مسرعًا إليها لاحتضانها، ولكنها اختبأت خلفي.

بدأ يضحك بجنون وبصوت مرتفع يقول: "صديقتها اتصلت بي، ثم صديقي اتصل أيضًا بي! وهما يخبراني عن الصلح وكيف ستنتهي القصة. زوجنا هكذا...!!!"

ثم بدأ يصرخ بملامح شيطانية، وأنا الساذج صدقتهما أرادًا أن يأتيا لكي ينتقما مني ويرواني هذا المشهد المروع. ولكن سأفضح أمركما، أيها الكاتب المزيف المدعو صديقي.

أصبحت أشياء برلند ثقيلة ومُكلِفة، فأزلتها عن وجهي.

بالفعل، أنا الكاتب، لن أكتم فمه القذر، وبدأت أضربه بصفعة على وجهه ليسكت الجميع. طرحته أرضًا فركع ومسك بمكان الألم.

وبدأتُ أدور حوله وبِهمْسٍ قائلاً له: "مادمتَ جئتَ هنا، قد حان الآن موعدك. هل تذكر وعدي لك؟ الآن أُلبيه لك. ولا يوجد صديقٌ وفيٌّ لا يفي بوعده لصديقه العزيز. هُناكَ دائِماً دائِرةٌ تدُورُ. إذا كُنتَ الأمسَ امتَلَكتَ شيئًا، ها أنا اليومَ امتَلَكتُ كلَّ الأشياءِ التي أخَذتَها مِنِّي. وداعاً يا صديقي العزيز."

فجأةً سادَ الظلامُ للحظاتٍ الناتجَةِ عن انقطاعِ التيارِ الكهربائي عن القصرِ، وبدأَ الجَمِيعُ بالتساؤلِ عمَّا يجري. ثُمَّ عادَتْ الأضواءُ ولم أجد صديقي الذي كان راكعًا على الأرض!؟ ولم أجد أيضًا حبيبتي، أقصد زوجته!؟ بدأَ الجمِيعُ يحتقِرونِي من وَراءِ قِناعِهم، وبدأَ الخوفُ يتملَّكُني وأنا أمسِكُ بِيدي بَرلند. تكثَّرَتْ على سهامِ نظرتِهم حتى أصابَتْني بالاحتقارِ لِذَاتِي، وآخرون يشاورون نحوي ويضحكون عليَّ وكأنِّي جُردتُ من ملابِسي.

وفجأة، ايقظتني صديقتها التي قامت بصنع هذه الحفلة، وجعلت هذا الكابوس واقعًا يجب أن أحياه. وبدأت بالسؤال عنها، لكن قاطعني صوت إطلاق النار. فبدأت السيدات بالصراخ والجموع هموا بالهروب بفزع وعشوائية، يتخبطون في بعضهم البعض من شدة التدافع. وأنا بينهم، أتخبط بهم لأنني أصعد مسرعًا على الدرج في عكس اتجاههم، متجهًا نحو مصدر صوت الطلقة.

صرت أبحث عنها في كل الغرف ولم أجدها، كلما بحثت تهافتت عليَّ أفكار سيئة.

وتحدثت نفسي قائلة:

هل الشرك انقلب عليك؟

ربما هي الآن قد ماتت؟

هل ستنتهي القصة بنهاية أخرى؟

أم أن مؤلفًا آخر سوف يرويها عنك؟

أيها الكاتب، أشعر الآن بالخوف لأنك تحت رحمة المعادلة البشرية. أدركت كيف يمكن للقضايا الظالمة أن تتجمع معًا في تناقضات. يجب أن أعيش على هذه الصورة المتناقضة للإنسانية. نعم، حتى لو ازدادت أخطاؤنا وذنوبنا، فهناك دائمًا خير يعيش فينا. مهما كانت صورتك وتفاصيل شخصيتك، فالخير والشر خلقاً مع إنسانيتك. خطئك ليس مانعًا لحسناتك. الكون معجزة، الكون متناقض ولكن بإحكام. في التناقض سر من أسرار التوازن الكوني. يجب أن تقبل نصيحة الإقلاع عن الخمر من سكير، سيجزى خيرًا عن فعلتك. هذا هو الدرس الأكبر الذي تعلمته مؤخرًا في هذه اللحظة.

بعد أن انهيت البحث ولم أجدها، انتقلت أنا والأمل في البحث عنها في الطابق الأرضي. وجدت عدة أبواب، نظرت إليها جميعًا ثم اخترت إحداها في المنتصف. فوجدتها هناك ذلك أخبرني حدسي.

فتحت الباب ووجدتها جالسة، تشاهد صورها وهي عارية تمامًا على تلك الشاشة الكبيرة، ويعتلي وجهها الذهول والصدمة،

عينها تعصف على خدها بغزارة

تمسك بجهاز بالتحكم عن بعد وتقلب ويديها وشفتيها ترتعش بشدة ....

رائتنى ....

تريد أن تتحدث لكن يمنعها ارتجافها الذي أصابها بصعوبة في النطق

وخدها الوردي غارق في الدمع أريد أن ألبى نداء نجدته .

استجمعت قواها وبصوت مرتعش باكيا تتحدث وكأنها فيولينا تعزف مأساة لنهاية العالم .

وهيا تقول لي :.

أبى أطلق النار على زوجى

سألتها قائلا :..

أين هو الآن ؟

هيا أجابت :.

لقد هرب والدماء تسيل من بطنه

هل تصدق إن زوجي ساوم أبى

زوجي يتاجر بجسدي

بدئت تنهار بشدة وقد صبت على غضبها ... قائلة :.

هل تراني الآن وانا عارية

استمتع بهذا المشهد

لا داعي أن تتخيلنى بين نفسك وأنا عارية

ها قد حانت ألحظة التي طالما حلمت بها

فأمسكت برأسها .. قائلا :.

استفيقي

استفيقي

وهيا مازالت تتمتم ... قائلة :.

زوجي باع جسدي ببعض من الأموال

فجأة، صرخت بصرخة وحيدة، وهبت معها ريح شديدة، حتى باتت النوافذ تصطدم من قوتها والستائر تتصاعد عالية.

قلت لها، قائلاً: "لها سحقاً، انصتي! يجب عليكِ أن تعودي إلى الواقع. ليس لكِ سبيلٌ آخر سوى القوة. ارفضي دور الضحية. يجب أن نحيا معًا. حان الوقت لكي نستعيد كل ما هو لنا."

فأمسكت بها بغضب عارماً ودفعتها لكي تنهض، قائلاً: "انهضي."

ثم قمتُ بتحطيم أحدى الطربيزات وأخذتُ منها قطعةً خشبية وأعطيتها إياها. أخذتها بوجه غاضبة وبجسدٍ يعصره الوهن، وبدأتُ بتحطيم الشاشة الكبيرة.

وأنا أشجعها قائلاً: "نعم، حطميه، حطمي هذا الماضي العفن. استمري، يجب عليكِ أن تتحرري."

أخذتُ في تشجيعها واندمج صوتي مع صوتها وهي تسب وتلعن كل معاشتها. وأنا واقف بجانبها، أشجعها.

فجأة، دخلت صديقتها ووجدتها في هذه الحالة. قررت أن تمنعها من الاستمرار. فأشرت لها بعيني الحمراء البركانية أن تتركها وتشأنها. واستجابت صديقتها لتلك الإشارة.

ثم ذهبت نحو صديقتها بهدوء مصطنع وأمرتها بهمس أن تحضر ابنها، فلبت النداء وذهبت.

وما زالت حبيبتي تحطم الشاشة، رغم انتهاء قوتها عن أخرها، بل حتى انتهت أرضاً مغشي عليها مثل الثمار. هنا عاتبت الجاذبية لأنها لم تتحرك لنجدتها. فأسرعت الخطى نحوها، ثم حملتها بين راحتي، نزولًا من سلم القصر، ثم خرجت بها إلى الطرقات، راكضًا بها.

وأعود بين الحظة والأخرى لأتفقد أنفاسها الدافئة بخدّي. ما هذا الشعور المجنون الذي يراوضني الآن؟ نعم، أنا فارغٌ جدًا، حقًّا في العشق جنون، ولكن بدرجة هائلة من السخط والحزن على معاناتها.. فكم من التداوي من آلام.

هكذا وصلت بها إلى المشفى، وأنا تراوضنى تلك الأحاسيس المتناقضة.

فاهتم المسعفون بها، وصرت أجري بجانبها وهي ملقاة على ذاك السرير المتحرك، حتى وصلنا إلى غرفة الطوارئ.
حينها، حقاً صُدمت بشدة عندما رأيته داخل الغرفة. نعم، وجدت صديقي بالداخل...!! احد الأطباء يقوم بإغلاق كلتا عينيه، ثم يلبس فستر وجهه بهذا الغطاء الأبيض المعتاد

الصدمة حقاً جعلتني أجلس أرضاً بجانب الباب، أبكي بهذا الآنين الطنان المكتوم الذي يصدر من أعماقي. فما لبست أن أكون أدنى كفي حتى أختبئ من كل ما حولي من الناس، يتساعدون معي بمنتهى العطف ويخطئون بي الظن.

يمدون أيديهم بداخل قلوبهم من باب الكرم، يعطفون بتلك النظرات التي تجسد معنى الشفقة. وأخذت الصور والمشاهد تتوالى في رأسي بسرعة فينتو زويل، الذي لا يدركه الإنسان ولكن يحياه.

هنا مشهد من طفولتنا، هنا عندما برزت صدقتنا. هنا عندما افتديته، رميت بنفسي أمام السيارة لكي أنقذه. وهنا وهو يهب لي دمائه بمنتهى الرضا. وهنا كنا أطفال، أنا وهيا، على تلك الأرجوحة. هيا مجرد صور تتوالى، منذ أن كنا صغار حتى كبرنا. نحن سئمنا بعضنا، ولم تسئم منا الأرجوحة. وهنا، وأنا أهنئه بزواجه منها. وهنا، وأنا أحذره ألا يجرحها أو يسئ معاملتها، حتى لا أعاقبه.

وهنا الماضي القريب، عندما خرجت من السجن...ثم ذهبت إلى منزل صديقي، وأنا متلصص وأراقبها في بيتها. هيا ترتدي قميص النوم الأرجواني. هل تتذكرون ذلك اليوم؟ فاختل توازني فجأة، فسمعت صوتًا غريبًا. نظرت من الشباك ولم تجدني، لأنني اختبأت بين الزرع الأخضر الذي يحيط بالمنزل. هل تتذكرون تلك الليلة، عندما قام زوجها بالاعتداء عليها؟ عندما أرسلت لها خطابًا وجعلت الشك يدخل في قلب صديقي، عندما أقنعته أن شخصًا ما كان معها وصفتها في الخطاب، وهيا ترتدي القميص الأرجواني.

و أما هنا أضع لزوجته المخدر فى كوب النسكافيه عندما تقابلنا أخر مرة هل تذكرون

عندما باتت عندي ..... !!!!!!!

نعم جأنى الشيطان وقنعنى بان اجردها من ملابسها وأقوم بتصويرها بكاميرة زوجها

هذا هو الاتفاق الشيطاني ......!!!!؟

أما الثلث مكالمات ....

كنت أول مكالمة لوالدها رجل الدولة فانتحلت شخصية صديقي وقمت بتهديده بان انشر الصور أو يدفع لي مليون

دولار ....

فحددت معه ميعاد لكن لم اذهب إليه ولكن وصلته الصور حتى يتأكد من صحة تهديدي

وأعطيت له ميعاد أخر في الحفلة أن يأتى ومعه المبلغ المطلوب ....

هناك بعض الأخطاء في النص المقدم. هذا ما يجب أن يبدو عليه النص الصحيح:

أثناء المكالمة الثانية، اتصلت بصديقة صديقتي التي تنظم الحفل في قصرها. أخبرتها بأنني أرغب في أن تصلح العلاقة بينهما. ثم أقنعتها بأن تدعو صديقي لحضور الحفل لكي يلتقيا ويتصالحا. قبلت الفكرة بفرحة وبادرت بتنفيذ طلبي.

أثناء المكالمة الثالثة، تحدثت مع صديقي وأكدت له نيتنا في التصالح خلال الحفل. زرعت فيه فكرة حضوره وصديقتها أكدت له الأمر أيضًا بعد ذلك..

أرجو منكم ألا تكرهوني، لأن عزائي الوحيد هو أن تبرروا أفعالي تلك بالشيء الذي جعل الحياة تعود للجميع مرة أخرى. إذا أعيدت الأحداث مرة أخرى... أعلم أن بينكم أحداً ينعتني بالخائن، بالمجنون، بالقاتل. ولكن كان هذا طلب صديقي... وأقسمت أنني سأنفذ وعدي وأسترد كل ما كان لي. أراد الراحة، فستقل قطار الموت لأن الموت يعتبر رفاهية في بعض الأحيان، لا يستطيع من تملكه اليأس اللحاق به..

تبدو هذه القصة شيقة ومثيرة؛ فليس هناك قصة دون ضحية. يجبرنا العالم على تجسيد أنفسنا في صورتين فقط، إما كظالمين أو مظلومين. لكن في هذه القصة، قررت أن أكون ظالمًا بدرجة إنسان خير من أجل حبيبتي. أنا أكره أن أكون هذا الشخص الضعيف والمترنح في عيون الناس.

ثم قمت بالنهوض مترنحًا، مثل السكران، ودخلت إلى غرفة الطوارئ لحبيبتي. لقد وجدت إحدى الممرضات تقوم بتغيير قارورة المحلول وتعليقها بجوارها. أما هي، فما زالت في ظلمات اللاوعي...

ثم أخذتُ كُرسياً وجلستُ بجانب سرير صديقي، ثم كشفتُ الغطاء عن وجهه ونظرتُ إلى الممرضة. شعرتُ برغبة في الحصول على بعض الوقت لوحدي، لذا سرعان ما هممتُ بالخروج.

أخذتُ أنفاسًا عميقة وأنا أتذكر كلّ شيء تشركناه سوياً منذ الصغر حتى كبرنا، وصوت نفسي يعبّر قال:

"صديقي... أنتَ أول وآخر صديق عرفته... عشنا سوياً وتشابكت علاقتنا مثل شجرة التوت التي تجيب لنا متعة الحياة. صديقي، ندين بالكثير من الاعتذارات لبعضنا البعض."

يالا الآسي كيف نكن أصدقاء و منذ عشرتنا لا ننصح بعضنا البعض لا نتعاتب فى مرة

تبا لمادية الحياة التى تفقدنا إنسانيتنا ... كان يجب أن نتحلى بالإيمان ...

حتى لا يعبث بنا ذاك الشيطان الكاره ... نعم تشاركنا كل شئ معا الشباب

الجنون المتعة حتى ... حتى تلك الفتاة ... أنا أحببتها و أنت تزوجتها

لكن، يا صديقي، من المستحيل أن نشترك في الموت. فالموت هو الشيء الوحيد الذي لا يستطيع أي إنسان مشاركته مع آخرين.

ثم وجدتُ خاتم الزواج في يديه، فشعرت بشيء من الغيرة. فقمتُ بنزعه من أصبعه حتى أتأكد أنها أصبحت لي وحدي فقط.

أنا الآن إنسان ذات قلبا فارحا و ضمير ساخط مثل طائر الرخ

أنا إنسان أحيا متناقضا .

سرعان ما أقتحم الغرفة عدة رجال من الممرضين و آخذوه من أمامي و رحلوا

و أنا في جمود الحجر جالس يتهافت على السكون ... و كل شئ تبدل إلى ظلام دامس حتى لا أنعم بمصاحبة حتى ظلي

الأخرس ... لعله لا يريد أن يعذب معي لأنني شعرت أن بعد تلك الظلمة المخيفة تقبع جهنم المعاقبة ... استسلمت لتلك الأصوات المؤنبة الآتية كهمس ثعبان الفتن... لكن همسهم أخذ يتراجع إلى أسفل، لأن جاءني الهمسة الربانية المناجية... التي أعادت الاتزان. تلك الهمسة أخذت تنادي بأسمى... نعم، كلما همست كلما ذهب الظلام من تأثير نورها المتصاعد. ألتفت إلي الضيء بعد أن عم ورتب الميزان الكوني.

فنظر نحو حبيبتي... كانت هي التي تنادي بأسمى وهيا فاقدة للوعي. اقتربت منها ممسكا بكفها المنساب... قائلا: "لا تخشي شيئًا، فأنا بجانبك. فأنتِ عشقي السرمدي الخالص".

استفاقت ببطء شديد وفتحت عينيها المقمرة بضياء السكينة وقالت: "وأنا أحبك منذ أن كنا صغار... هل كنت تعلم ذلك؟"

فنظرت له بشغف يفوق شغف قيس العاشق، عيناي الدامية يتساقط منهما دموع الآسي، قائلا:

لماذا اخترته هو؟

أجابت بمنتهى الآسي، قائلة:

لأنني رأيتك تهوى الكتابة بدلاً من أي شيء آخر في تلك الحياة. لم تهتم سوى بإشباع غريزتك الإبداعية، حتى على حسابي. أنت عشقي الوحيد. كان يعبر بشتى الطرق عن حبه وكان يُعلِم الناس عن مدى عشقه لي. وأنت من سكان مدينة الصمت، دائماً تراقب وتحتفظ بجنونك لذاتك. أقصد، لمؤلفاتك فقط. لا تبالي سوى بها فقط.

أجبت قائلاً:

كم أنتِ صادقة! لقد جعلتيني أقف لأول مرة أمام مرآة نفسي وأرى الحقيقة. تعلمي أنكِ أجبتِ عن سؤال حياتي، نعم، أنتِ حقاً أحببتيني. فالعاشق أصدق من المرآة. ولكن أرغب في إخباركِ أنني طالما حلمتُ بمس وجهكِ كورود الجميلة، تمامًا

كما أستطيع أن ألمسه الآن. دائمًا تساءلتُ هل يمكن لإنسان أن يلمس ملاك؟ والآن، علمتُ الإجابة. نعم، لأنني أستطيع لمسكِ الآن.

رمتِ نفسكِ في أحضاني المتيمة، كم حلمت بتلك اللحظة التي تخلو من أي شهوة، بل تشبه لحظة نداء المشتاقين للجنة.

ثم تملكها السقم مرة أخرى وهي تهمس في أذني قائلة:

"لا تتركني... لا تذهب وتتركني... أرجوك."

بتردد واضح عجيب، أجبتُ قائلاً:

"سوف... سوف نكمل سوياً... فأنا أحتاج حبك لكي أحيا مرة أخرى."

ثم وضعت رأسها برفق على الوسادة وأخذت أرتب خصل شعرها الحمراء الفاتحة لأنها تمنع ضياء ملامحها أن يسطع على...

ثم تابعت قائلة:

"هل تتذكرين قصة طائر (الرخ العظيم) التي كانت ترويها لنا معلمتنا منذ صغرنا؟"

فابتسمت حبيبتي نافية، فأكملت قائلة:

"كان في إحدى الأزمنة طائر الرخ المهيب، كان يفترس الحملان الصغيرة ليطعم بها أبناءه ولكنه كان أيضًا أبًا صالحًا يتحلى بالإيمان. فقد وجد ما يعزيه في تلك القضية، ما جعله مؤمنًا. قرر أن يلتهم الحملان الصغيرة بدلاً من الأمهات، حتى لا يموت الحملان نتيجة فقدان الأم لعنايتها. لا تسأل عن مصدر تلك الحكمة والرحمة بداخله، فأنتم تعلمون من أين تأتي. وعلى الرغم من الآسى الذي يعيشه هو وأمهات الحملان، فإن الحياة تستمر، لأنه أجبر على شهوة الافتراس. الغاية أننا نحيا وسط التناقضات والتشكلات، ولذلك لا يتحد رأي الناس في شخص واحد. فإذا كان يصنع الخير في طريقه إلى صنع الشر، فالله يجازي على الخير بغض النظر عن الآثم. فعزائي الوحيد هو أن تقبليني كما أنا، بمنتقضاتي."

لم تجيب على لأنها قد أخذها مني النعاس، فهنئًا له نهضتُ وخرجتُ إلى باحة الاستقبال. فأمسكتُ بالهاتف وأخبرتُ صديقتها عن مكانها لكي تأتي وترعاها. أنهيتُ معها المكالمة.

أخذتُ أسيرًا وأتذكر في الطرقة المشفى الطويلة عندما كنا صغارًا، أنا وهي، وكنا على هذه الأرجوحة. أذكر ذلك اليوم جيدًا. أنها توقفت عن اللعب وأمسكتُ برأسي بكلتا يديها ولصقت جبتها بجبهتي وقالت:

"عزيزي، أوعدك إذا أنا مت سوف أتي لك دائما على صورة تلك الفراشة ذات الألوان الأرجوانية الساحرة، لا تنسى ذلك. وأنتَ تحب أن تأتيني على في صورة ماذا؟"

أجبتُ بتلعثم وبراءة:

"سوف أتي لكِ في أحلامك وليس في الموت، في صورة طائر الطنان."

سألت قائلة:

"ولمَ اخترتِ ذاك الطائر المجهول؟"

أجبتُ قائلًا:

"لأنه لا يعلم كم قدراته الهائلة، لأنه مثل الفراشة يتغذى على روح الزهرة دون أن يقتلها. أيضًا، لأنه يحمل الحرية والجمال في أفعاله .

وَإِذَا انتَهَيْتُ مِنَ التَخَيُّلِ وَعَدْتُ لِلْوَاقِعِ، فَلا تَتَعَجَّبْ لِأَنَّنِي جَالِسٌ بِدَاخِلِ تِلْكَ الطَّائِرَةِ بِنَفْسِ مَلَابِسِي، تَرَكْتُ خَلْفِي كُلَّ شَيْءٍ، لَا أَحْمِلُ سِوَى الْكَاتِبِ بِدَاخِلِي، خَبَأْتُهُ خَلْفَ بَرْلَانْد شَوْ! وَمَعَ إِقْلاَعِ الطَّائِرَةِ، أَتَذَكَّرُ قَوْلُهَا، هِيَا تُكْرِرُهَا، ذَكَرْتِي، الْمَرَّةُ تِلُو الْأُخْرَى، وَأَيْضًا بَعْضَ الْمُقْتَطَفَاتِ مِنْ حَدِيثِهَا الْأَخِيرِ لِي... وَهِيَ تَقُولُ: "أَنْتَ لَا تَهْتَمُّ سِوَى بِمُؤَلَّفَاتِكَ فَقَطْ، عَوْضًا عَنْ أَيِّ شَيْءٍ. لَا تَهْتَمُّ بِغَيْرِ إِشْبَاعِ غَرِيزَتِكَ التَّأْلِيفِيَّةِ... عَلَى حِسَابِ عِشْقِكَ الْأَوْحَدِ". لِسَانُهُ، حَالِيٌّ يُحَدِّثُنِي قَائِلًا: "نَعَمْ، صَدَقْتُ، فَأَنَا أُهِوِيُّ تَأْلِيفَ الْقَصَصِ. نَعَمْ، فَأَنَا أُمَجِّدُ تِلْكَ الْحَالَةَ التَّأْلِيفِيَّةَ. هِيَ الَّتِيْ تَجْعَلُنِي أَتَذَوَّقُ لَذَّةَ ثَمَارِ شَجَرَةِ الْخُلْدِ الْحَقِيقَةِ".

لذلك، رحلت، لأن عشقي لإحياء شخصية الكاتب، صاحب الجنون الممتع، أعظم من عشقي لها. لذا، رحلت، لأن الحب يضعف الأغلال، وأنا خُلِقْتُ لا أَهْوِي القيود الحياتية. لأن الحرية تُجَعِّلُنِي أَكُونُ أَمْهَرَ قَصَاصِيٍّ الْأَثَرِ.

فَعَادَ الْمُشَهَّدُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الشَّابِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِي الْمُتَنَزهِ، أَوْصَدَ الْكِتَابَ وَقَامَ بِشَدٍّ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ، مُبْتَسِمًا بِمُنْتَهَى الْمُتْعَةِ، هُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكِتَابِ... سَرَعَانًا أَخَطَّفَهُ ضِيَاءُ إِمْرَأَةٍ مُكْتَمَلَةِ الْأَنُوثَةِ، مُتَنَاهِيَةِ الْجَمَالِ، بِمُنْتَهَى الْانْدِهَاشِ الْبَاسِمِ تَتَجَهُ نَحْوَهُ.. بِعِشْقٍ وَلَهْفَةٍ وَأَنَا كَذَلِكَ، حَتَّى أَمْسَكَتْ كُلْتَا يَدَيْهِ فِي تَرْحَابٍ... قَائِلَةٍ: "أَيْنَ اخْتَفِيتَ؟... عَنَا كُلَّ تِلْكَ الْمُدَّةِ، أَيُّهَا الْكَاتِبُ، صَدِيقُكَ الْعَزِيزُ سَوْفَ يُسْعِدُ لِرُؤْيَتِكَ...".

أجابت: "صادقتي، أَنَا الْكَاتِبُ... أَمَّا الْغِيبَةُ كَانَ نَاتِجَهَا تَأْلِيفُ تِلْكَ الرَّوَايَةِ الْجَدِيدَةِ".

قَالَتْ: "اِشْتَقْتُ اَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا جَدِيدًا لَكِ... هَلْ أُسْتَطِيعُ الْاِحْتِفَاظُ بِهَا؟".

أَجَابَ: "نَعَمْ، لَقَدْ جِئْتُ خَصِيصًا لَكِ اقْرَئِي هَذَا الْاِهْدَاءِ".

قَرَأَتْ قَائِلَةً: "اِهْدَاءٌ اِلَى زَوْجَةِ صَدِيقِي الْوَحِيدِ، صَدِيقَتِي الْحَبِيبَةِ... أَتَمَنَّى لَكِ رَاحَةَ الْجَنَّةِ الْأَبْدِيَّةِ، سَأَظَلُّ أَحْمِيكِ مِنْ كُلِّ شَيْئٍ، مِنَ الْحَيَاةِ، مِنْ أَبْأكِي الْمَارِدِ، مِنْ صَدِيقِي، زَوْجِكِ الَّذِي دَائِمًا يَعْبَثُ لُسَيْفْرُ بِأَفْكَارِهِ... أَخِيرًا أَتَمَنَّى أَنْ تَجِدِيَ مُتْعَةً وَأَنْتِ تَقْرَأِينَ آثَارَ رَوَايَتِي... مَعَ خَالِصِ تَحِيَاتِي... أَنَا الْكَاتِبُ".

ردت قائلة: "أشكرك على كل هذا، لقد أسعدتني حقاً كما تفعل دائمًا".

سألها: "كيف حال صديقي؟"

ردت: "ما زال حيًا... أقول لك سراً، لقد فقد الكثير من رونق شخصيته التي طالما جذبني بها. بما أنك غابت لأكثر من ست سنوات، حان الوقت لترى طفل صديقك".

نادت على الطفل وأجاب الطفل الذي كان يلعب بالكرة معي. فجاء ركضاً نحوي، فحملته ودورت به ونحن نضحك سوياً.

اندهشت مبتسمة قائلة: "ها أنتما تعرفان بعضكما"

أجاب الطفل: "نعم، تعرفت عليه اليوم وأصبح صديقي الكبير".

ردت: "هل تعلم من هو؟ إنه صديق أبيك الذي كنا نحدثك عنه".

أجاب الطفل: "الكاتب؟!!"

ثم ذهب الطفل ليكمل ألعابه، وسرقتنا لحظة من الصمت ونحن ننظر إلى بعضنا البعض.

سرعان ما قاطعت اللحظة، حتى لا تُكتب في صحيفتي "خائن" في نظرة. فأنا حقًا ما زلت أعشقها، ولكني لا أرغب في أن أسبح عكس التيار القدير.

ثم أشارت باتجاه السيدة العجوز التي أطعمناها الشوكولاتة، قائلة: كيف حال صديقي؟

أجابت: لقد تآكلت جميع ذكرياتها، لا تتذكر أي شيء، ولا حتى ابنها المصور أو أي شخص آخر. لا تتذكر سوى الله.

فسألتها: "أين تقيم الآن؟"

وردت: "لقد أُجبرته على إحضارها لتعيش معنا وتكون جزءًا من حياتنا. لم تبقى معنا سوى بضعة أيام. وحضورها أضاف شيئًا من الألفة والبركة. صفاءها ونقاؤها جعلاها تستحق المديح قائلة: 'كم أنتِ ألطف أهل هذه الأرض'."

نظرت إلي بخجل وقررت تغيير الموضوع بسرعة، قائلة:هيا نذهب إليها... لعلها تتذكرك؟

فذهبنا إليها... أمسكت يديها وانحنيت مقبلاً لها بمنتهى التقدير والعزة.

أخذت تتحسس مكان القبلة... ثم نظرت لي بتمعن شديد... قائلة: "هل أعرفك من قبل يا بني؟... هل أنا من قام بتربيتك؟ لا أتذكر."

ثم تناولت قطعة من الشوكولاتة... سألتها زوجة صديقي قائلة: "من أعطاكِ هذه الحلوى؟"

أجابت ببراءة ممزوجة بالإيمان والطفولة الخالصة قائلة:الله هو الذي أطعمني،آيها...!!!

فضحكنا... قاطعتني من الضحك يد أخذت تربت على كتفي من الخلف.

فاستدرت... لأجد صديقي هو الذي كان يقوم بذلك.

وقفنا في صمت مهيب ننظر لبعضنا... وكأننا نذرنا أن نقف حدادًا على أحد الموتى.

نعم، ما زال صديقي حيًا... لأنه مات فقط في قصتي... لا تنعتني بالجنون بسبب مخيلتي المولعة بعشق الكتابة.

كل ما قرأته ليس سوى تكهن بمستقبلي، بين حدوثه أو عدم حدوثه في برزخ خفي.

والآن سأتركك لتنهي القصة... ولا أريد سوى أن تستمتع بالمقابل وليس السناء على أفكاري.

ثم جاءت زوجته ووقفت بيننا تنظر بتساؤل لماذا هذا الصمت؟

فإذا بصديقي يمسك بالكاميرا المعلقة في عنقه ويقوم بتصويري ببطء، متسائلًا. وأنا أنظر له بحدة... ثم يسرع قليلاً في التقاط الصور.

فأشرت له بحدة أنه ينهي التقاط الصور... فذهبت عنه ابتسامته وتبدلت ملامحه.

حينئذ فردت جناحي التسامح والغفران في الهواء باسما... وانتظرت معانقته. فضحك وقام بالتقاط صورة لنا، وأنا على هذا النحو.

ثم ركض باتجاهي وأخذني في معانقته بشدة... كأن كتفي شيء موصوفا له لكي ينعم بالسلام الذي يتجسد في الراحة النفسية.

بعد أن بُتعدنا عن بعض، ومن شدة اللحظة، جلست بجانب ولدته. وفي هذه اللحظة، جاء ابنه راكضًا حتى جلس على قدمي وهو يشعر بالفخر، وكان يُمسك بالكرة. ثم احتضنت زوجته أمه بحنان ودفء. بينما صديقي التقط صورة ليتذكر هذه اللحظة. بعد التقاط عدة صور لنا، رن هاتفه. ذهبت وأخذته منه قليلاً وابتعدت عنهم. ثم رددت قائلة: "معك الشاب الذي قابلته صدفة اليوم في المتنزه. نعم، تلك الفتاة المثيرة بالملابس الرياضية الجذابة." وفجأة، تعرضت حلا - الفتاة المذكورة - لصدمة هائلة وأكملت قائلة: "أريد منك معروفًا، وهو أن تبتعدي عن صديقي. أنت لا تستحقين تلك اللقب

المهين الذي ينعتك به 'العشيقة'. وإذا وصفت زوجته بأنها 'خائنة' فسوف تدمر حياته." ردت حلا قائلة: "أعدك، أيها الغامض المثير، سأفعل ما طلبت. ولكن لدي شرط يجب تنفيذه."

أجابت قائلا ... أعلم ذلك الشرط جيدا ... لكن الشرط يقابله شرط

هل أنتي تملكين قصة شيقة

تمت

بقلم :. كريم يونس

2014/02/05